



الأوضاع الاجتماعية وانعكاسها على شعر

كليم كاشاني: دراسة تحليلية نقدية

عبير نادي مصطفى أبوالجد

معيدة بقسم اللغة الفارسية

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2023.198622.1646

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي - المجلد (٣٢) العدد (٥٩) أبريل ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

<https://qarts.journals.ekb.eg>

موقع المجلة الإلكتروني:

الأوضاع الاجتماعية وانعكاسها على شعر كلیم كاشاني:

دراسة تحليلية نقدية

الملخص:

علم الاجتماع في الأدب، هو علم يركز دراساته على محتوى كل عمل أدبي وجوهره الاجتماعي والعلاقات المتبادلة بين الأدب والمجتمع، ويقدم دور المجتمع في تكوين الاعمال الفنية والادبية.

ومن هنا تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على تأثير علم الاجتماع في الشعر الفارسي ومدى انعكاس الأوضاع الاجتماعية على شعر كلیم كاشاني، بالإضافة إلى التعرف على حياة الشاعر وأعماله، واشتملت هذه الدراسة على مقدمة ومبحثين رئيسيين جاء المبحث الأول بعنوان كلیم كاشاني (بيئته، مكانته، إنتاجه)، ثم جاء المبحث الثاني بعنوان ملامح الحياة الاجتماعية في إيران والهند في شعر كلیم كاشاني، ثم الخاتمة وأهم نتائج البحث وقائمة المصادر والمراجع.

اعتمدت هذه الدراسة في هذا البحث المنهج التحليلي النقدي فالمنهج التحليلي يقوم بتحليل النص وتفكيكه إلى جزئيات للتعلم في قراءته وتفسيره، لذا نجد المنهج التحليلي هو عملية عقلية في جوهرها وهو يتمثل في عزل عناصر الشيء بعضها عن بعض حتي يمكن إدراكه بوضوح، أما المنهج النقدي فهو يقوم بعرض تلك العناصر على الموازين الدقيقة، لمعرفة صحتها من فسادها؛ لذا فجملة المنهج التحليلي النقدي هي ملاحظة الظواهر، ثم الحكم عليها ومناقشتها، وذلك للوصول للنتائج المرجوة.

الكلمات المفتاحية: ملامح الحياة الاجتماعية؛ نظرية الانعكاس؛ الشعر الصفوي؛ كلیم

كاشاني"

مقدمة

تعد الدولة الصفوية إحدى الدول القوية التي قامت في المشرق الإسلامي؛ فهي أول دولة ذات أصل إيراني، وأول دولة مذهبية قامت على المذهب الاثني عشري، حيث أعلن الشاه اسماعيل الأول قيامها في عام ٩٠٧هـ / ١٥٠١م، ومن أهم مبادئها: توسيع رقعة الدولة الصفوية، ونشر المذهب الشيعي، مما أثر ذلك على الهرم الاجتماعي داخل المجتمع^١.

فقد تشكل المجتمع الإيراني خلال العصر الصفوي على شكل هرم، يقع الشاه في أوله وهو الحاكم، يليه أصحاب المناصب أو أركان الدولة والوزير رئيس البلاط، وفي قاعدة هذا الهرم يقع عامة الشعب الذي يمثل الفلاحون والصناع، وأصحاب المحلات وتجار المدن الصغار، ويقع بين الشاه وعامة الشعب أشرف الجيش والدولة، ثم رجال الدين في درجات متفاوتة وبوظائف مختلفة^٢.

ومن هنا يتضح أن البناء الاجتماعي يحمل في طياته مجموعة من النظم: كالنظام العائلي الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والديني ... وغيره، ولكل نظام من هذه النظم دور معين يسهم في الحفاظ على البناء الاجتماعي الكلي للمجتمع^٣.

وأصبحت إيران في ذلك الوقت دولة مستقلة بأراضيها في نطاق حدودها الجغرافية والثقافية أو واستمدت استقلالها من العامل القومي لإيران القديمة، وكان العامل الرئيس في خلق هذه الوحدة هو ميل الأمة الإيرانية إلى المذهب الشيعي وبعدها المتزايد عن

(١) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م، ص ٨٠٧.

(٢) راجر سيوري: إيران عصر صفوي، ترجمه ی کامبیز عزیزى، چاپ شانزدهم، تهران، ١٢٨٥، ص ١٧٤.

(٣) نبيل محمد توفيق السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة، العربية السعودية ١٩٨١، ص ١٠٩.

مذهب أهل السنة وبمجرد إعلان التشيع مذهباً رسمياً للدولة وُجد هذا النوع من الوحدة ذات الجانب الديني لدى الإيرانيين^١.

أما عن الأدب في العصر الصفوي فكان مجال اختلاف وجدال كثير على مر العصور واتهم من قبل الكثيرين من نقاد الأدب بالضعف والانحطاط، وعدادوا أدلتهم وحججهم لأثبات صحة أقوالهم، وبمرور السنين أقبل الباحثون على دراسة ذلك الأدب دراسة جدية، فجاءت الدراسات الحديثة لتثبت أن الآراء السابقة اعتمدت على براهين واهية^٢، ونظراً لصعوبة دراسة الأدب في ذلك العصر لأسباب عدة منها خلو الأدب من موضوعين يعتبرهما الفرس من أهم أغراض الشعر هما الغزل والتصوف، ولكن خلو الأدب في هذا العصر من الغزل والتصوف بشكليهما القديم أمر طبيعي فالأدب مرآه ينعكس عليها، ومن مظاهر انعكاس الأوضاع الاجتماعية في العصر الصفوي ضرب الأمثال في الشعر بما يخدم ويعبر عن الوضع الاجتماعي أو الظرف الذي يريد الشاعر التعبير عنه كما يوجد قابلية ما بين المثل المضروب والواقعة المضروب بها المثل ومن أبرز تلك الأدوات في الابتكار وخلق المضامين هي إعادة القضايا الاجتماعية من أكثرها عامية إلى أعلاها مفاهيمياً^٣.

علم اجتماع الادب.

يهدف علم اجتماع الأدب لدراسة من منظور علم الاجتماع سواء لمعرفة رؤية الكاتب إزاء المجتمع أو لربط العمل الأدبي بالبناء الاجتماعي إذ يساعدنا الأدب أن نتعلم

(١) اسماعيل حاكمي والـا: "جست و جوى نهادهای اجتماعی" در شعر كلیم كاشانی، پرنوش پڑوهش، پڑوهش نامه فرهنگ و ادب، پرتال جامع علوم انسانی، پڑوشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، ص ١٧٣.

(٢) آمال حسین محمود: الشعر الفارسی فی العصر الصفوی، الطبعة الأولى، مركز جسور للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٢١م، ص ٥.

(٣) مجیدی نیا، محبوبة، نگاهی به اوضاع شعری دربار صفوی؛ نقدی بر نظریه ی خروج شعر از دربار، پڑوهش ها نقد ادبی و سبک شناسی، تابستان ١٣٩١، سال دوم، شماره ٨، ص ١٤٤

شيئاً ما عن المجتمع استناداً على أسس التحليل الاجتماعي المقارن كما تعكس الأعمال الأدبية التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع ولكن من وجهة نظر الأديب^١.

وفي حقيقة الأمر أن أهم ما يثيره مصطلح علم اجتماع الأدب في ذهن المتخصص في علم الاجتماع، هو ذلك الفرع من فروع المعرفة السوسيولوجية الذي يطبق مناهج وأدوات علم الاجتماع التصويرية وأطره الفكرية، وقضاياها النظرية على دراسة الأدب بوصفه ظاهرة من ظواهر المجتمع التي يتخصص هذا الفرع في دراستها، فالدراسة السوسيولوجية للأدب تهدف إلى استخلاص أفكار المؤلفين والأدباء المتصلة بالمجتمع أو ربط الأدب ببناء المجتمع على طريق علم اجتماع المعرفة، لذا يمكننا الأدب من تعلم واكتساب بعض المعارف المتصلة بالمجتمع للإفادة منها في التحليل السوسيولوجي المقارن، وخاصة بالنسبة للمجتمعات التاريخية أو المعاصرة التي يصعب دراستها بطريقة شاملة، أما لعدم وجود وثائق تاريخية خاصة بها، أو لأسباب سياسية^٢.

نظرية الانعكاس: لا شك أن نظرية الانعكاس تمثل المحور الأساسي للدراسة سوسيولوجيا للأدب، ولقد لاقت هذه النظرية قبولاً من قبل المشتغلين بالنقد الأدبي وسوسيولوجيا الأدب على حد سواء، فمفهوم الانعكاس يضرب بجذوره في أعماق الماضي، ولذلك فالفكرة التي مؤداها أن الأدب يعكس المجتمع ويصور الواقع الاجتماعي ليس بالفكرة الجديدة، بل هي قديمة قدم مفهوم أفلاطون عن المحاكاة فلقد أشار أفلاطون إلى مفهوم "المرآة" التي توضع أمام الطبيعة لتمثل فكرة انعكاس الحياة في الأدب، واستخدم "أرسطو" أيضاً مفهوم

(١) محمد سعيد فرج، مصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع الأدب، الطبعة الأولى، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ٢٠.

(٢) محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٤٦١.

"المحاكاة" حيث أكد على أن الفنون بصفة عامة تعد محاكاة للواقع، وقد استخدم "شكسبير" مفهومي "المرآة والانعكاس" في مسرحه، حيث كان يؤكد على واقعية الفن، الذي يجب أن يكون على حد تعبيره انعكاسًا للحياة لا تحريفًا لها .. ولذلك إذا كانت طبيعة العلاقة بين المجتمع وآدابه هي المحور الأساسي لعلم اجتماع الأدب، فمفهوم "الانعكاس" يعد أحد المداخل الأساسية لدراسة وفهم طبيعة العلاقة^١.

فنظرية الانعكاس تنطوي على تشبيه العمل الأدبي بالمرآة، فالعمل الأدبي يعكس واقع الحياة الاجتماعية ولكن من منظورات متعددة قد تكون كلاسيكية أو رومانسية أو واقعية، ويؤكد "لوكاتش" على أن نظرية الانعكاس تمثل المبدأ المشترك لكل صيغ السيطرة النظرية والعلمية على الواقع من خلال الوعي الإنساني، وهي بالتالي أساس الانعكاس الفني للواقع.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة البناء الاجتماعي في العصر الصفوي وانعكاس هذا البناء على شعر كليم كاشاني، وكيفية تصوير الشاعر كليم كاشاني إلى الأحداث السياسية والاجتماعية والتاريخية التي مرت بها إيران والهند إبان تلك الفترة، وبخاصة الفترة التي قد هاجر فيها الشاعر كليم كاشاني إلى الهند وعاصر أزمة القحط في مدينة دكن ولذلك نظم مثنوي وأسماه بـ "قحط دكن".

أهداف الدراسة.

١. التعرف على حياة الشاعر وبيئته وعصره وإنتاجه.

(١) محمد علي البدوي: علم اجتماع الأدب، مرجع سابق، ص٩٧.

٢. تهدف الدراسة لتناول التغيرات الاجتماعية الحديثة وانعكاسها على الأدب في العصر الصفوي ولاسيما شعر كلیم كاشانی.

٣. التعرف على مدى تأثير كلیم كاشانی بالبناء الاجتماعي في ديوانه كونه أحد شعراء المهجر الهندي.

المنهج المتبع في الدراسة.

اعتمدت هذه الدراسة في هذا البحث المنهج التحليلي النقدي فالمنهج التحليلي يقوم بتحليل النص وتفكيكه إلى جزئيات للتعلم في قراءته وتفسيره، لذا نجد المنهج التحليلي هو عملية عقلية في جوهرها وهو يتمثل في عزل عناصر الشيء بعضها عن بعض حتي يمكن إدراكه بوضوح، أما المنهج النقدي فهو يقوم بعرض تلك العناصر على الموازين الدقيقة، لمعرفة صحتها من فسادها؛ لذا فجملة المنهج التحليلي النقدي هي ملاحظة الظواهر، ثم الحكم عليها ومناقشتها، وذلك للوصول للنتائج المرجوة، بالإضافة إلى المنهج الاجتماعي فهو منهج يدرس النص الأدبي من خلال ربطه بخلفياته الاجتماعية والتاريخية وهو يهتم اهتماماً بالغاً بعلاقة الأدب بالبناء والواقع الاجتماعي فهو انعكاس عن رؤي وصراعات لما في الواقع الذي صدر عنه كما أن اتباع هذا المنهج يؤكد على الصلة الوثيقة بين الأثر الأدبي والمجتمع.

المحور الأول: كلیم كاشانی (بيئته، إنتاجه، مكانته).

ملك الشعراء ميرزا أبو طالب كلیم كاشانی المشهور بطالبای كلیم والذي أطلق عليه خلاق المعاني الثاني، وهو من أشهر شعراء القرن الحادي عشر الهجري، ولد سنة ٩٨٠ هـ. ق^١ واختلف كتاب الأدب حول مكان ميلاده فذكر البعض أنه من همدان والبعض

(١) مهدي صدری: کلیات طالب كلیم كاشانی "بر اساس نسخهء كلیم"، چاپ اول، جلد اول، المكتبة الأدبية المختصة، ١٣٧٦، ص یک.

الآخر قال أنه من كاشان، ويعتبره معظم كتاب التذاكر أن أصله من همدان ويقال أنه أصبح معروف باسم كاشاني بسبب إقامته في كاشان وتلقي تعاليمه في كاشان و شيراز، وفي بداية شبابه ذهب إلي الهند في عهد جهانگیر (نور الدين سلطان سليم) وكان ملازماً لشاهنوازخان، وبعد وفاة شاهنوازخان عاد إلى إيران وبقي في إيران عامين، وذهب إلى الهند مرة أخرى^١، وفي هذه المرة تولي ملازمة الأمير محمد أمين أمير شهرستان المتخلص بروح الامين في بداية جلوس الملك شاهجهان على العرش بفضل جهوده تقرب منه وأصبح ملك الشعراء، وكان كثيراً ما يمدح شاهجهان فعندما يصف بلاد الهند يمدحه، وكذلك عندما يتحدث عن العيد أو شهر رمضان يمدحه أيضاً، وقضى بقية عمره في كشمير، وفي أواخر حياته عاني كلیم من آلام في الساق، وتوفي سنة ١٠٦١هـ.ق في كشمير ودفن بجانب مدفن سليم تهراني و قدسي مشهدي^٢.

قد ألف كلیم في جميع أنواع الشعر لكن مهارته وشهرته تظهر في الغزل، ويستخدم في مثوياته اللغة البسيطة والمصطلحات الهندية، حيثما كان عنده من الضروري ذكر الحرف والمهن والمناظر الطبيعية والأعشاب والورود والأشجار، وكان يستخدم نفس اللغة البسيطة أيضاً في قصائده، ولكن في هذه الحالة يقترب من لغة الحوار وخلق المضامين والتعابير الخيالية والاستعارية في التعبير^٣.

(١) ذبيح الله صفا، تلخيص سيد محمد ترابي، تاريخ ادبيات إيران، چاپ هفتم، خلاصه جلد پنجم (بخش اول - دوم - سوم)، جلد چهارم، شماره ٧، تهران، ١٣٨٩، ص ٤١٨:٤٢٠.

(٢) آمال حسين محمود: الشعر الفارسي في العصر الصفوي، الطبعة الأولى، مركز جسور للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٢١م، ص

(٣) ذبيح الله صفا، تلخيص سيد محمد ترابي، تاريخ ادبيات إيران، مرجع سابق، ص ٤١٨:٤٢٠.

اما عن علاقة الشاعر كلیم كاشانی بالمجتمع وبعبارة أخرى الأوضاع والأحوال الاجتماعية لإيران في نظر وشعر كلیم، فهو يري أن في هذه الفترة، كانت العواصف والبلاء والفتن تهب من جميع الاتجاهات، وفي مجتمع لم يتم ترسيخه بعد، وكانت حياة الناس عرضه لنوع من الإكراه المتناقض كل يوم من حلق اللحية وشرب الخمر والتبغ وضغط المتعصبين والمنافقين، لهذا السبب؛ كانت معاديه لأهل الفضيلة والمعنى وازدهار الفقراء وأسلوب العقول، ومؤلمة للشاعر الصادق (المحب للحق) والمفكر الحر؛ لأن في المجتمع الصفوي، كانت السلطة فخاً روحياً للمنافقين الذين يتظاهرون بقمع الناس ونهب ممتلكاتهم تحت ستار الشريعة والتشرف، بالإضافة إلى الجهل والفقر وعدم المساواة^١.

في مثل تلك الأوضاع حيث أثرت الذريعة المتعلقة بالدين على الناس والمجتمع والحكام الصفويين، (بغض النظر عن خدماتهم) تم تغير وتفكيك العديد من الموازين والعادات والتقاليد وطقوس أسلافهم، وهذا ما جعلوه أغلب الشعراء في نص الحوادث، وما كانوا قد سمعوه من أمناء هؤلاء المتحدثين، حيث انعكست هذه القضايا في أشعارهم^٢.

كلیم همدانى هو أيضاً من فئة الشعراء الذين لم يجهلوا أو يغافلوا أوضاع وأحوال المجتمع والشعب الإيراني في هذه الأيام، وقد رسم وصور هذه القضايا بأشكال وأساليب مختلفة.

(١) رضا برزوي، ناصر الدين شاه حسيني، مظاهر مصفا، بازتاب اوضاع و احوال اجتماعي عصر صفوي در اشعار كلیم همدانى، فصلنامه علمي پژوهشی زبان و ادب فارسی، شماره ٦، ١٣٩٠، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦.

يمكن اعتبار أكثر القضايا الأساسية المذكورة في المجتمع الصفوي من وجهة نظر كلیم على أنها تتكون من ست قضايا تم تصويرها بأشكال مختلفة، وهي:

(عدم الراحة والاستقرار، انتشار النفاق، إذلال الشرفاء وإدراك مكانة الحقراء الذين لا أساس لهم، أصبح الحديث والشعر والشاعر بلا قيمة، جلاء الوطن واختيار الغربية، محبة الهند)^١.

أعمال كلیم.

هناك نوعان من الأعمال المتبقية لكلیم.

١. مجموعة الأشعار أو ديوان الشعر هي أقل من عشر آلاف بيت، ومجموعة الأشعار الموجودة حاليًا تحتوي على ٩٧٦٦ بيت، وهي كما يلي^٢:

- أ. تحتوى الغزليات على خمسمائة وتسعين غزلية في إجمالي ٥٢٧٣ بيت.
- ب. تركيبات بند تشتمل على اثنين تركيب بند في إجمالي ١٧٨ بيت.
- ت. تحتوى المقطعات علي أربعة وستين قطعة في إجمالي ٥٨٤ بيت.
- ث. تشتمل القصائد على ستة وثلاثين قصيدة في إجمالي ١٦٧٤ بيت
- ج. ترجيع بند يحتوى على ترجيع بند واحد وهو ترجيع بند ساقى نامه يتضمن ٨٤ بيت.
- ح. تشتمل المثنويات على ثلاث وعشرين مثنوي في إجمالي ١٧٦٧ بيت.
- خ. تشتمل الرباعيات على مائة وثلاث رباعية في إجمالي ٢٠٦ بيت.

(١) رضا برزویی و دیگران، بازتاب اوضاع و احوال اجتماعی، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) مهدی صدری: کلیات طالب کلیم کاشانی، مرجع سابق، ص ٧٤.

٢. مثنوي شاهنامه أو بادشاهنامه ويطلق عليه أيضًا ظفرنامه شاهجهان، هذا المثنوي مازال لم يطبع حتى الآن، المثنوي على بحر متقارب المثنى المقصور أو المحذوف، ويحتوي هذا المثنوي على حوالي خمسة عشر ألف بيت، ذكر المرحوم سيد حسام الدين راشدى فى الجزء الثالث من تذكرة شعراء كشمير فى الصفحة من ١٣٦٦ إلى ١٣٦٩ هـ نقلًا عن حياة كلیم أن العدد الإجمالي لأبيات هذا المثنوي ١٤٨٢٠ بيت، والمثنوي المذكور مقسم إلى جزأين ويتضمن عناوين تشير جميعها إلى شعر الأحداث فى عهد شاهجهان وأغلب هذه الأحداث قد نظمها كلیم أيضًا فى الكليات الحالية من مجموعة الأشعار الأخرى، مثل: القصيدة، القطعة، المثنوي، الرباعي^١، ها هو بداية ونهاية هذا المثنوي:

البداية: بسم الله الذى من شوق الجود أعطى العالمين، ولم يعد هناك سائل

النهاية: حين وافق الفلك حظ هذا الملك لم ير أحد فاتحًا للقلاع^٢.

المحور الثانى: ملامح الحياة الاجتماعية فى إيران والهند فى شعر كلیم كاشاني.

- ملامح الحياة الاجتماعية فى العصر الصفوي:

تغير المجتمع الإيراني على أثر التغيير السياسى الذى أحدث طفرة كلية فى بنیان المجتمع والدولة، وبالتالي انعكست تلك الأوضاع المتغيرة على توجهات الشعر والأدب والثقافة عامة، وكان من تلك الأوضاع المتغيرة أن حكمت طبقة من طبقات المجتمع على مجريات الحياة الدينية والاجتماعية وحتى السياسية وغيرها، ألا وهى طبقة رجال

(١) مهدي صدرى: كليات طالب كلیم كاشاني، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٢) به نام خدايى كه از شوق جود دو عالم عطا كرى و سايل نبود

چو اقبال اين شاه گردون سرير نبيند دگر در جهان قلعه گير

(كليات طالب كلیم كاشاني، ص ٧٥)

الدين ممن كانوا رأياً عاماً يعتمد على دعم الحكومة في ترويج المذهب الشيعي، ولهذا تفاوتت الطبقات الاجتماعية خلال هذا العصر، وأوجد هذا التغيير في السياسة والاجتماع والدين عدة مظاهر انعكست في شعر شعراء هذه الفترة، وعلى رأسهم كلیم كاشاني الذي خالط مجتمعه سواءً في إيران أو في مجتمعه الثاني في الهند.

ومن الظواهر الاجتماعية والأدبية خلال العصر الصفوي نجد هجرة الشعراء إلي الهند وذلك لأسباب عدة منها:

١- اهتمام ملوك الهند الكورگانيون بالشعر والشعراء، واللغة الفارسية والأدب الفارسي وبذخهم وإجزال العطايا لهم.

٢- وجود فرق القلندرية الصوفية وغيرها من فرق المتصوفة التي كان أغلب المهاجرين يجد الحماية والراحة النفسية في الانضمام إليها.

٣- التغيير المذهبي والسياسي في إيران الذي أدى إلى اهتمام الملوك بنشر المذهب الشيعي، والاهتمام فقط بالأمور التي تساعد على ذلك.

٤- انتشار المقاهي في إيران بشكل لم يكن موجوداً من قبل مما أدى إلى رواج الألفاظ العامية، وبعض العادات السيئة^١.

وبالنسبة لهجرة أبي طالب كلیم يمكن القول أن كل الأسباب السابقة كونت في مخيلته منذ الصبا صورة خلابية عن الحياة في الهند، جعلته يتحين الفرصة لتحقيق تلك الصورة، وقد سافر إلي الهند مرتين، المرة الأولى كانت في عهد جهانگیر (نور الدين سلطان سليم) أبو شاه جهان، وفي الرحلة الأولى كان ملازماً لشاهنوازخان ميرزا رستم

(١) آمال حسين محمود: الشعر الفارسي في العصر الصفوي، الطبعة الأولى، مركز جسور للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٢١م، ص ١٣: ١٤.

الصفوي، من أمراء إبراهيم شاه وعاد إلي إيران في عام ١٦١٩م/١٠٢٨هـ، مع مجموعة من الحجاج، وبقي في إيران عامين.

وقد نظم أبو طالب كلیم أبيات تعبر عن ذلك، فقال:

- طالب عاشق هواء الهند، عاد منها لغرض ما.

- وتاريخ سفره للعراق جاء (التوفيق رفيق لطالب) ١٠٢٨م^١.

وبحساب الجمل جملة (توفيق رفيق طالب) تساوي بالفعل عام ١٠٢٨.

وقبل أن يقرر كلیم السفر من الهند نظم في أشعاره، الأسباب التي جعلته يفكر في

ذلك، فنظم في إحدى غزلياته، يقول:

- سيجعلني الجنون كالأطفال يقذفون بالحجارة، أيها الحظ ساعدني وعد بي إلي أصفهان.

- عرف كلیم مكانته في الغربية، والآن يريد أن يرتفع من هذه الذلة ويعود إلي كرمان مرة أخرى^٢.

ومن خلال الأبيات السابقة يتضح أن أحلام كلیم في السفر والحياة في الهند لم

تتحقق في المرة الأولى، ويمكن القول أيضاً أن أحلامه الكبيرة كانت تسيطر عليه بشدة

(١) طالب ز هوا پرستی هند برگشت وسوی مطالب آمد

تاریخ توجه عراقش (توفیق رفيق غالب) آمد ١٠٢٨.

(ديوان كلیم كاشاني، پرتو بیضائي، ط٢، تهران، ١٣٦٩، ص ٥)

(٢) جنون خواهد بیابان سنگ طفلان هم هوس دارد مرا ای بخت یاری کن بمیدان صفاهان بر

كلیم اندر غریبی آزمودی قیمت خود را كنون همت بور ز این زیره را دیگر بكرمان بر

(ديوان كلیم كاشاني، پرتو بیضائي، ص ٢٤٨؛ الترجمة، نقلًا عن: .آمال حسین محمود: الشعر

الفارسی فی العصر الصفوی، ص ١٥).

وكان يعتقد أنها ستتحقق بسرعة أو في فترة وجيزة وعندما مر الوقت ولم يجد ما توقعه بدأت خيبة الأمل تصيبه، فعبر عن ذلك في أشعاره فيقول في غزلية أخرى:

- أنا كلیم المشرّد أريد السفر من الهند إلي أصفهان^١.

وحينما عاد كلیم إلي إيران شعر أنه تسرع في ذلك فلم يتوان عن أن يعبر عن ندمه في العودة وتأثره الشديد بذلك، فيقول:

- بشوقي إلي الهند يحلوق إنسان عيني حسرة، فلا يبصر غير جنة إرم طريقاً لها.

- أنا أسير بلاد الهند ونادم على الرحيل منها، فأين يحط طائر البسملة الضرير الحزين.

- وينطلق كلیم حزيناً إلي إيران شوقاً للرفقاء، يطوي المنازل بأقدام كالجرس^٢.

ويتضح من الأبيات السابقة أنه علي الرغم من أن كلیم اختار العودة بنفسه إلا أنه ندم عليها وأصبح كالجرس معلق في أقدام الراحلين إلي بلاد الهند، بسبب حبه الجارف للهند.

وبعد عامين لم يتحمل أبو طالب كلیم البقاء في إيران وقرر العودة إلي الهند، في عام ١٠٣٠هـ، وفي هذه المرة وجد كلیم طريقه إلي العزة والجاه وأعاد النظر في أشعاره التي ذكر فيها ندمه علي السفر من الهند وقضي بقية عمره في الهند إلي أن توفي في كشمير.

(١) آور گئی کلیم خواهم کز هند توان باصفهان رفت

(ديوان كلیم كاشاني، پرتو بيضائي، ص ١١١؛ الترجمة، نقلًا عن: .آمال حسين محمود: الشعر الفارسي في العصر الصفوي، ص ١٥).

(٢) ز شوق هند زانسان چشم حسرت در قفا درم که رو هم گر براه آرم نمی بینم مقابل را

اسير هدم واز ين رفتن بيجاپيشمانم کجا خواهد رساندن پرفشانی مرغ بسمل را

با ايران ميروود نالان كلیم از شوق همراهان بپای ديگران همچون جرس طی کرده منزلرا

(ديوان كلیم كاشاني، پرتو بيضائي، ص ٩٩، ربما يكون المقصود بطائر البسملة هو طائر مالك

الحزين الذي يقال أنه يقول الملك لك الملك لك في تغريده، أو هو الكروان الذي يسبح باسم الله).

إن من مظاهر انعكاس الأوضاع الاجتماعية في العصر الصفوي ضرب الأمثال في الشعر بما يعبر عن الوضع الاجتماعي والظروف التي يتحدث عنها الشاعر حيث يوجد مقارنة بين المثل المضروب والواقع الممثل لها ومن تلك الوسائل الموضوعية في الإبداع الأدبي طرح القضايا الاجتماعية من أقل درجة في المفهوم إلى أعلاها مفاهيمًا ، وبذلك انعكست تلك الأوضاع السيئة على الأدب عامة وعلى الشاعر بصفة خاصة.

وفي تلك الفترة وجدَّ حسب تعريفات علم الاجتماع ما يسمى بمجتمع الحوزة أو المؤسسة خاصة أن المجتمع الإيراني قد تشكل خلال العصر الصفوي بتحول خاص إلى مجتمع ديني تحكمه المؤسسة المذهبية والتي كانت بمثابة القطب الجاذب للشعب حول تلك الحوزة وهي المسألة التي نرى أسماعيل حاكمي يتحدث عنها قائلاً: "على اثر السياسة الدينية للصفويين، كانت غلبة علماء الدين وتسلطهم على كل الامور الاجتماعية والسياسية، بين هذا الجمع تجمع المنتفعون وطالبي الجاه الذين وجدوا تشجيعاً من الملوك واختلطوا مع المتشرعين والوعاظ، وهنا ظهر آلاف الزهاد والشيوخ وراج بازار الرياء والنفاق.

كما أن أشعار كلیم كاشاني كبقية الأعمال الأدبية الأخرى هي انعكاس للأوضاع الاجتماعية التي نشأت فيها، كأحد الموضوعات والمضامين التي تناولها الشعر آنذاك.

ملاح الحياة الاجتماعية في الهند:

تشكل المجتمع المغولي في الهند خلال حكم السلطان شاهجهان على شكل إقطاعي تام، يقع في بداية تصاعده السلطان الذي كان يُضفي على بلاطه ضروبًا من الأبهة والعظمة، وفي بلاطه كان يتجلى بهاء الدولة ومجدها وعظمتها، وتُشع مظاهر المدنية، وتنبثق آلاء الثقافة، وفيه تروج أنواع المعرفة، وفي كنفه يعيش رجال العلم والأدب والفنون،

(١) مجیدی نیا، محبوبه، نگاهی به اوضاع شعری دربار صفوی، مرجع سابق، ص ١٤٤.

ومن بعده يأتي الأمراء ورجال الدولة الذين هم على دين سلطانهم في الغالب من البذخ والترف والإسراف، حتى أن قصورهم كانت تزدهم بالجواري والغلمان، وتتخم بكل ما هو طريف أو فريد من الأثاث والمتاع، وتفيض موائدهم بأطيب الطعام، وإلى جانبها أكداً من الفاكهة المنوعة النادرة، المستوردة من "بخاري" و"سمرقند"، والأنبذة والأشربة الفاخرة التي لم يلتفت أحد لتحريمها من سلاطين تحريمًا جديدًا إلا في عهد ابنه "السلطان أورانكزيب"^١.

أما عن التجارة فكان التجار بدورهم وخاصة الذين يقيمون في المناطق البعيدة عن العاصمة، يحرصون على إخفاء أموالهم عادة كي لا يُصادرها حكامهم حين تشتد حاجتهم إلى المال أو يدفعهم شجعهم إلى طلبها، وكان أوسط الناس وأصحاب الحرف والصناعات يعيشون في الغالب عيشة تتراوح ما بين اليسر والعسر، أما أبناء الطبقات الدنيا وأصحاب الحرف الدنية، ومعهم خدم الأمراء والحكام وأجراؤهم، فكانوا في ضيق من العيش والذل الدائم، لا ينالون إلا وجبات غذائية قليلة هزيلة وأجور ضئيلة، حتى أن الأمانة كادت تتعدم بينهم بدافع من حاجتهم إلى سد رمقهم وإجابة مطالب ذويهم^٢.

اعتبرت طبقات الشعب هذه ومعها الزراع وأجراء الأرض، فقد غدت أنتس حظاً وأشدّه بؤساً خاصة حين يجتاح الهند المجاعات بسبب انحباس الأمطار الموسمية وما ينجم عنها من شح الأقوات وانتشار الأوبئة الفتاكة، وقد التقت السلطان "شاهجهان" التقاتاً

(١) فاتحة بوقلقولة، فاطمة ليشتي، دولة مغول الهند في عهد السلطان شاه جهان (١٠٠٠-١٠٧٧هـ/ ١٥٩٢-١٦٦٦م)، مذكرة تخرج (رسالة الماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة احمد دراية أدرار، ٣٨٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص٣٩، ٤٠.

(٢) فاتحة بوقلقولة، فاطمة ليشتي، دولة مغول الهند في عهد السلطان شاه جهان (١٠٠٠-١٠٧٧هـ/ ١٥٩٢-١٦٦٦م)، مرجع سابق، ص٤٠..

جدياً" إلى العناية بأمرهم، والعمل على تحسين أحوالهم من خلال مد يد العون لهم عند حدوث المجاعات والقحط، ورغم كل هذا إلا أن بعض المؤرخين المحدثين وصفوا حالتهم هذه، بأنها كانت أفضل بكثير من غيرها في العصور الحديثة^١.

أ) المجاعة والقحط:

لم يكد شاهجهان يفرغ من "القلقل" التي ألمت به قبل، وبعد اعتلائه العرش، حتى واجه محنة القحط التي اجتاحت بلاده في العام الرابع من حكمه، ونتيجة لانقطاع الأمطار الموسمية التي اعتمدت عليها الهند في السقي والري، فنتج عنها مجاعة شديدة ظهرت بشدة في "الكجرات" والدكن، وقد أفقرت مقاطعة "رديونانا" وجلا أهلها منها عام ١٦٤٧م، ولعل أصعب وأوعد المجاعات ضرراً، هذه المجاعة التي استهدفت الهند عام ١٦٣٠م و ١٦٥٠م. وزاد من سوء الحال انتشار الأوبئة الفتاكة بين السكان^٢.

وبرغم ما بذله السلطان "شاهجهان" من جهود لتفادي الآثار المترتبة على المجاعة في ذلك الوقت من امداده الناس بالموءن وإقامة المطاعم المجانية وغيره إلا أن الأمر تفاقم على الخلق، فمنهم من قتل أولاده خشية الاملاق، ومنهم من هاجر، وأفرغت القرى من سكانها^٣.

يتحدث كلیم عن انقطاع الأمطار الموسمية التي تسببت في القحط فيقول:

(١) فاتحة بوقلقولة، فاطمة ليشتي، دولة مغول الهند في عهد السلطان شاه جهان (١٠٠٠-١٠٧٧هـ / ١٥٩٢-١٦٦٦م)، مرجع سابق، ص٤٠، ٤١.

(٢) فاتحة بوقلقولة، فاطمة ليشتي، دولة مغول الهند في عهد السلطان شاه جهان (١٠٠٠-١٠٧٧هـ / ١٥٩٢-١٦٦٦م)، مرجع سابق، ص٤٠، ٤١.

(٣) فاتحة بوقلقولة، فاطمة ليشتي، دولة مغول الهند في عهد السلطان شاه جهان (١٠٠٠-١٠٧٧هـ / ١٥٩٢-١٦٦٦م)، مرجع سابق، ص٤١، ٤٢.

- واخفت علامة السحاب والأمطار كذلك، كأن السحب قد اختفي عن السماء.
- وإن بدى الهواء بقعة سحاب، كانت بلا ماء كورقة في الريح.
- ولم ينزل بعد ذلك فيض، ولم يسقط في الوسط ماء.
- سقطت قطرة من سحابة سهواً، مثل الشرر وركضت إلى أعلى.
- فصار حال العالم بسبب الجفاف، فقد تدفق فيض الرمال الصحراوي.
- لو تمطر سحابة قضاء، لأحصيت قطرات عديدة.
- رأت الأرض إلا قليلاً من لطف السحاب لهذا السبب الشمس عوضت هذا الحب بدفئها^١.

وقد وصف كلیم أحوال الناس والعباد أيام القحط، فقال:

- تعالى الله ما أبهى النخل القوي، الذي تستظل الولاية بظله.
- بالبقية أعملت سيف الأيام، قحطاً للسعيد والتعيس.
- فبوقت الضيق تساوي الغني والفقير في الحزن على مائدة طعام واحدة.

که گوئی برج آبی ز آسمان رفت	(١) نشان از ابر و باران آنچنان رفت
بدی بی آب همچون کاغذ باد	هوا گر لکه ابری جلوه میداد
سوی مرکز نمیشد آب مایل	بخاک از بس نگشتی فیض نازل
شرر آسا سوی بالا دویدی	بسهو از قطره ای ز ابری چکیدى
که سیل بادیه ریگ روان شد	مزاج عالم از خشکی چنان شد
نظر آسان شمردى قطره ها را	اگر ابرى بباریدی قضا را

(دیوان کلیم کاشانی، ص ٣٥٦)

زمین چون مهربانی ز ابر کم دید تلافی را بگرمی کرد خورشید

(دیوان کلیم کاشانی، ص ٣٥٧)

- اشتاق كلاهما لشكل الخبز، فيخطفون أثار القدم أحيانًا^١.

القحط ساوي بين الغني والفقير في الجوع والإحساس به، فكلاهما يتصارع حينما يختلط لديهم من شدة الجوع شكل أثار القدم وشكل رغيف الخبز التي طالت مدة اختفاؤه عن أعينهم.

ويصف الأحوال أيضًا، فيقول:

- الزاهد لا يذكر من أسماء الله غير حنان غير منان
- حينما خرب دكان الجزار، أصبح حفل الزاهد بلا شواء.
- تسبيح الزاهد لله بسبب حبة، ويتحجج بالأذكار والأوراد.
- اختفت المكنسة ورفعت الكناسة، فلم تترك هذه المحنة حيًا واحدًا.
- دفن في التراب كل ميت عار، أثناء فراره في فناء البستان.
- من كثرة الموتى في الحارة، صار التابوت علامة للحارة.
- صار بساط التراب كحفل خمر، ووقع في كل اتجاه جائع ثمل.

که بر چندین ولایت سایه افکند

بخون رزق او غم خوردنی بود

که نقش پای هم را می ربودند

(^١) تعالی الله زهی نخل تنومند

ز تنگی گر فقر وگر غنی بود

بشکل نان چنان مشتاق بودند

(دیوان کلیم کاشانی، ص ۳۵۸، الترجمة، نقلًا عن: آمال حسین محمود: الشعر الفارسی فی

العصر الصفوی، ص ۳۹، ۴۰).

- على الرغم من أن الصياح كان في أفواه النائحين، لم يخرج من حي صمتهم^١.

عبر كلیم عن مظاهر القحط بمنتهي الدقة، فالدكاكين خربت، والزهاد اللذين لم يكن يشغلهم غير ذكر الله، انشغلوا بذكر الله ولكن ليزيح عنهم الغمة، الشوارع فرشت بالموتى وصار التابوت علامة لكل حارة، والصياح من شدة الجوع في الأفواه ولكن أين تلك القوة التي تستطيع إخراجهم ويسمعه الآخرون.

يوضح كلیم معني القحط والغربة بالنسبة إليه، فالقحط عنده قحط معنوي بسبب الغربة والإحساس بالذلة، فلم يكن قد وجد مكانته بعد، والغريب بالنسبة له كقافلة السفر لا تستقر في مكان قط، فهو دائماً علي استعداد للسفر، وأوضح كلیم أيضاً أنه تأثر بالقحط لمشاركته آلام الناس.

وهذه الأبيات اعتبرها بعض نقاد الأدب دليلاً علي عدم التوفيق في الهند في المرة الأولى، وأنه رحل بعد ذلك، ولكن هذا ليس صحيحاً لأن كلیم نظم أبياتاً في سفره من الهند في المرة الأولى تؤكد أنه رحل منها عام ١٠٢٨هـ وعاد إليها عام ١٠٣٠هـ، وكما

نمیآید بجز حنان و منان	(١) بیاد زاهد از اسماء یزدان
که بزم می پرستان بی کبابست	چنان قصاب را دکان خرابست
حدیث ذکر وورد آن بهانه است	به تسبیح الفت زاهد زدانه است
درین محنت سرا یک زنده نگذاشت	وبا جاروب رفت وروب برداشت
چو گاه برگریزان صحن بستان	بخاک افتاد هر سو مرد عریان
نشان از کوچهء تابوت میداد	ز بس در کوچه فرش از مرده افتاد
بهر سو گرسنه مستی فتاده	بساط خاک شد چون بزم باده
که در کوی خموشانش گذر بود	فغان اندر دهان نوحه گر بود

(دیوان کلیم کاشانی، ص ٣٥٨، ٣٥٩، الترجمة، نقلًا عن: آمال حسین محمود: الشعر الفارسی فی العصر الصفوی، ص ٤٠).

ذكرنا أن القحط حدث من عام ١٠٣٠هـ إلى عام ١٠٣٢هـ. أي بعد عودة كلیم مباشرة، ولم يكن قد حقق شيئاً بعد.

وكانت كل مظاهر الحياة أثناء القحط تعبر عن الموت فيقول كلیم:

- لو أن الدنيا كلها صارت مدينة الفناء، لأصبح القبر والكفن ميسرين.
- أنشغل الغاسل بعمله، فاليد تغتسل من الحياة في ذلك الوقت.
- حينما تري القبر المحفور مجهزاً، أدفن نفسك هناك.
- وحينما يقرأ القارئ عشر ياسين على الروح، ويصل إلى الحمد قل آمين^١.

ويتضح من الأبيات السابقة أن كليماً استطاع أن يعبر عن القحط بدقة كما وصفه المؤرخون في كتب التاريخ، إذ امتلأت الشوارع بجثث الموتى، وخلت القرى من سكانها، وعلى الرغم من كل مساعدات الملك لم تنقش الغمة.

سبق أن ذكرنا أكثر القضايا الأساسية المذكورة في المجتمع الصفوي من وجهة نظر كلیم تتكون من ست قضايا تم تصويرها بأشكال مختلفة، وهي علي النحو التالي :
(عدم الراحة والاستقرار، النفاق العام، لا قيمة للشعر والشاعر، محبة الهند، إجلاء الوطن واختيار الغربية). وسنقوم هنا بتوضيح كل قضية منهم بشكل مختصر.

(١) اگر شهری فنا گردد سراسر
بکار خوچ بدی مشغول غسال
چو كوره كنده را آماده دیدی
بجانا خوانده حافظ عشر ياسين
كه را كور وكفن گـردد ميسر
كه دست از زندگی شستی درانحال
در آنجا گـور كن خود وا كشيدي
رساند الحمـد هستی را بآمین
(ديوان كلیم كاشاني، ص ٣٦٠، ٣٥٩، الترجمة، نقلًا عن: آمال حسين محمود: الشعر الفارسی في العصر الصفوي، ص ٤٢).

أ- عدم الراحة والاستقرار.

يدرك كلیم جيدًا أوضاع إيران وأحوالها المتقلبة وظروفها الخاصة نتيجة السياسات المتناقضة للصفويين، من حيث كثرة الحروب والنزاعات وكثرة سفك الدماء وهذه إما يكون قد شهدها بنفسه أو سمعها من غيره وتكررت على سمعه فعرف ماذا يعني تخصيب الرجال وجوهم بالدماء؛ لذا يصف في شعره هذه الحالة، ولذلك يوضح الفرق بين معنى الرحمة والقسوة في الأبيات التالية:

- ان يكن هناك رحمة في الدينا فهي الموت فقط، كي يحرر كل طيرًا روحه من ذلك القفص.
- صارت ديارنا مصائب الصداقة أمرًا عام، إذا أقام حامل المصباح، مأتمًا في مدينة.
- ضيق عيشنا يا كلیم من حاجتنا، فحق لم ير أحدًا عنق الزجاجاة خالية.
- فلو صادف العيش أن يكون بلا حزن ومرارة، لكان مثل النوروز حل في شهر محرم^٢.

(^١) رضا برزویی، ناصر الدين شاه حسینی، مظاهر مصفا، بازتاب اوضاع واحوال اجتماعی عصر صفوی در اشعار کلیم همدانی، مرجع سابق، ص ٣٦.

(^٢) رحم در عالم اگر هست اجل دارد و بس کاین همه طایر روح از قفس آزاد کند

(دیوان کلیم کاشانی، ص ٢٠٩)

در دیار ما مصیبت دوستی عام است عام گر چراغی مرد در یک شهر ماتم می شود

(دیوان کلیم کاشانی، ص ٢٠٣)

عیش تنگ ما کلیم از تنگدستی های ماست درست خالی را کسی در گردن مینا ندید

(دیوان کلیم کاشانی، ص ٢١٥)

ويوضح كليم هنا أن الرحمة عنده هي الموت فقط؛ أي أن الحياة الوحيدة التي تتمتع بالرحمة والحمية هي الحياة الأبدية التي تريح الناس من مصائب الحياة وآلامها ولتحرر كل ما هو ذات روح من هذا العذاب الذي يكون أشبه بالسجن، ويؤكد أن شمولية وعالمية الحزن والحسرة بجانب الفقر والضييق قد أصبحت عاملاً يحرم الناس من الرفاهية والسعادة إذا بقوا على قيد الحياة، وحتى لو اتجهت الحياة إلى شخص ما فإنها لا تخلو من الحزن والأسى، وتبقى كعيد النوروز الذي وقع في شهر محرم الحزين.

عيد النوروز وافق شهر محرم ويتم الاحتفال به بإشعال النيران والقفز فوقها وإطلاق الألعاب النارية وهو يوافق ذكرى مقتل الحسين، فالشاعر هنا يعبر عن سوء الأوضاع بتشبيه يوم العيد بيوم استشهاد الحسين فلا فرح ولا مظاهر للفرح بل حزن وابتلاء؛ فعيد النوروز يعد أحد الأعياد القومية وأعرقها، وأكثرها احتفاءً في إيران على مر التاريخ، ويحتفلون به بطريقة رائعة للغاية وتتميز هذه المناسبة باحتفائها بالطبيعة وتغنيها بفصل الربيع، وهو احتفال نجد نظيراً له في بعض الثقافات الأخرى، مثل "شم النسيم" في مصر والذي يعود إلى الحضارة الفرعونية القديمة وأيضاً عيد "الملك طاووس" لدى "اليزيديين" في العراق، ولأن عيد النوروز يوافق ذكرى مقتل الحسين عليه السلام، فحينما يصادف عيد النوروز شهر محرم يؤدي إلى ردود فعل مختلفة بين الناس، فيقول البعض إنه لا ينبغي لنا أن نفسد عيدنا في محرم، لأنه حسب هؤلاء الناس فإن النوروز هو أكبر عيد إيراني وأهميته ليست أكثر إن لم تكن أكثر من شهر محرم، ويقول البعض الآخر ممن لديهم معتقدات دينية أن النوروز لا معنى له على الإطلاق عندما يتعلق الأمر بحادثة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين، ولكن ما حدث في السنوات الأخيرة هو أن مراسم محرم

يش هم اگر رو دهد بی تلخی اندوه نیست هم چو نوروزی که واقع در محرم می شود

(ديوان كليم كاشاني، ص ٢٠٣)

أقيمت كما كانت تقام في السنوات السابقة، وفي نفس الوقت كان الاحتفال بعيد النوروز والزيارات العائلية تقام في مكانها، فإن مثل هذا النهج يظهر أن الشعب الإيراني مرتبط بجميع قيمه القديمة والدينية^١.

ومن هنا يتضح لنا لماذا جمع الشاعر كلیم كاشاني بين عيد النوروز وشهر محرم في البيت الأخير من الأبيات السابقة، وهو ليؤكد لنا أن الموت كان هو الرحمة الوحيدة بالنسبة له في ذلك الوقت، ويرى إن حتى لو اتجهت الحياة إلى شخص ما فإنها لا تخلو من الحزن والأسى، وتبقى كعيد النوروز الذي وقع في شهر محرم الحزين، والحياة هنا متمثلة في عيد النوروز، وشمولية وعالمية الحزن والحسرة متمثلة في شهر محرم، فعلى الرغم من أن هذا العيد يجلب سعادة كبيرة للإيرانيين وذو قيمة عظيمة، ويحتفلون به بطريقة رائعة إلا إنه حينما يصادف شهر محرم يختلط فيه الفرح بالحزن أي سعادتهم الكبيرة بعيد النوروز لا تخلو من حزنهم على تكري استشهد الحسين عليه السلام.

ب- النفاق العام.

المقصود بهذا النوع من النفاق هو المكر والنفاق الذي يتم القيام به بكل قصد ونية، مثل هذا البيت التي ادعي كلیم خلال هذه الفترة، لا يمكن ايجاد الصدق والإخلاص في قلب أحد، لكن ينبغي أن يسير المنافقين في هذا الطريق^٢.

^(١) أعظم خان لاري: عيد النيروز.. السنة الإيرانية الجديدة بين التاريخ والدين، [https:// www. hespress. Com](https://www.hespress.Com) بتاريخ ١٢/١/٢٠٢٣ م.

^(٢) رضا برزويي، ناصر الدين شاه حسيني، مظاهر مصفا، بازتاب اوضاع واحوال اجتماعي عصر صفوي در اشعار كلیم همداني، مرجع سابق، ص ٣٨.

وأشار كلیم إلى نوع من النفاق فهو نوع خطير ويمثل مرضًا اجتماعيًا بالغ الخطورة يؤثر على العلاقات الشخصية بين الناس، وهو النفاق الذي يصحبه فكر بقصد ونية، كما في البيت التالي لكلیم إذ يوضح أنه لا يمكن العثور على الصدق والإخلاص في قلب أحد، لكن هذا هو الطريق المناسب للمناقين، فيقول:

- لست مرتاح خاطر لأحد فماذا أفعل؟ فلا يمكن أن يصل إلى قلب أحد بدون نفاق^١

في البيت السابق يقول كلیم أثناء شكواه من سوء الأوضاع في ذلك الوقت، حيث إنه لا يمكن قبول الناس بعضها البعض في أي مكان دون نفاق ورياء، وفي موضع آخر يقول:

- إلى شخصًا صار كالصمغ لئلا من النفاق، أصبح بمحفل الحزن والسرور كالشمع المحرم^٢.

وهنا يصف الشاعر الشخص الكثير النفاق بالليوننة وأنه في محفل الحزن والسعادة يصبح كالشمع المحرم وهو الشمع الذي يتم إشعاله في الحادي عشر من شهر محرم لاستشهاد الإمام الحسين والذي نوره يكون فيه رسالة إلى أصحاب النفوس السوداء وذوي القلوب الأموية المنحرفة بأن المحاولات التي سعت لإطفاء نور الله لن تجد طريقها إلى قلوب الشيعة أبدًا، فالشمعة تحترق وتذوب ولكنها تبقى تشع نورًا وضياءً لإنارة الطريق

(١) پسند خاطر يك تن نیم چه چاره كنم كه بی نفاق به يك دل نمی توان جا كرد

(ديوان كلیم كاشاني، ص ٢٣٩)

(٢) کسی كه موم صفت چرب و نرم شد ز نفاق به مجلس غم و شادی چو شمع محرم شد

(ديوان كلیم كاشاني، ص ٨٤)

أمام الآخرين، وهكذا هؤلاء الأشخاص يحترقون ويتألمون بسبب النفاق والرياء ومع هذا كله يسعدون بفعل ذلك ويقومون به بكل قصد ونية.

ت- محبة الهند.

إذا كانت الأحداث كما مر في السابق على هذا النحو من التضيق على الشعراء وتحول القيم المعروفة للشعر والأدب إلى منحنى آخر لا يقبله كل الشعراء من الذين ذكر أنهم هاجروا إلى الهند كرده فعل لما واجهوا من المعاناة والمصاعب، تلك الهجرة التي هيئتها عدة عوامل كان منها هدوء الاوضاع في الهند، توافر السلام والأمن فيها. وانتشار اللغة الفارسية هناك كل ذلك جعل الهند أرضًا خصبة لهجرة الشعراء، حيث وجدوا البيئة المناسبة لإعادة نتاجهم الادبي على نحو ما لفرائحهم دون أي تضيق أو تحديد لمجالات الأبداع الفني.

ولهذا كان موضوع حب الهند ووصفها من أبرز الموضوعات التي طرحت في الشعر الفارسي المكتوب في الهند، وقد أشار صائب التبريزي إلى هذه المسألة بوضوح معدًا أنه لم يوجد من الشعراء إلا ومن مدح الهند، وأنه لا يوجد شاعر إلا وتمني السفر إلى بلاد الهند^١.

وهذا يوجب حب الهند وتزداد رغبة الوصول إلى تلك الدولة لتصبح إحدى القضايا المطروحة في مجتمع اليوم جلب المنفعة والعزة والاحترام والجاه والثروة هو السبب الرئيس لرحيل الشعراء إلى الهند، وفي الحقيقة الهند هي شجرة طيبة لكل شخص يلجأ إليها ولا ييأس وسيستفيد من فضلها بشكل كافي؛ ولهذا السبب يوجد في قصائد بعض شعراء هذا

(١) رضا برزوي، ناصر الدين شاه حسيني، مظاهر مصفا، بازتاب اوضاع واحوال اجتماعي عصر صفوي در اشعار كلیم همداني، مرجع سابق، ص ٥١:٥٢.

العصر العديد من الأبيات في مدح الهند وملوكها، وأشار صائب التبريزي بوضوح إلى هذه النقطة وقال إنه لا يوجد شاعر في هذه الفترة لا يأمل في السفر إلى الهند، والشاعر كلیم كاشاني من أهم الشعراء والإيرانيين الذين عبروا عن محبة الهند والاهتمام بشغف لهذه الرحلة وما في هذا من ثروات وأمن وأمان وتخيل أن الحياة في الهند ممتعة عبر عنها في شعره^١، فيقول:

- أشعل الرقص النار تحت أقدامنا جزلاً، كأنه رياح لا تستقر بمكان.
- من الشوق للهند، تأذت الروح بعد الوطن، سلت دجلة من الموج سيقاً على خد بغداد.
- والدكان من كل بيع صار مذاقاً للذباب، ومن اكتفاء العين في الهند، قصبُ من السكر^٢.

ويصف لنا كلیم هنا مدي السعادة التي تحل على كل من يذهب إلى الهند فالرقص عنوان سعادة الهند الذي يقومون بفعله دائماً في جميع الاحتفالات والمناسبات والأفراح، ويشير إلى أن كثرة الرقص واختلاط الناس واحتكاك الأقدام بالأرض أدى إلى توليد حرارة وكأنها نيران أشعلت تحت الأقدام، كما شبهه أيضاً بالرياح التي لا تستقر بمكان أي أن السعادة الكامنة في الرقص آنذاك كانت تملأ كل أرجاء الهند فليس هناك مكان قط يخلو من رقصة السعادة في ذلك الوقت، ومن كثرة الخيرات والوفرة في الأطعمة أصبحت الدكاكين مذاقاً للذباب أي حتى أن الذباب يجد مأكله فيها وعلى سبيل المثال فالعيون في الهند مليئة ولا يوجد مكان للطمع فالناس كقصب السكر، وعلى الرغم من شدة الشوق

^١ (رضا برزوي وديگران: بازتاب اوضاع واحوال اجتماعي، مرجع سابق، ص ٥٢).

^٢ (ز رقص شادی آتش به زیر پا داریم چو گردباد به یک جا نمی توان استاد
ز شوق هند، وطن بس که جان گزای شده است ز موج، تیغ کشد دجله بر رخ بغداد
دکان زهرفروشی است در مذاق مگس ز سیرچشمی در هند، دکه ی قناد

(دیوان کلیم کاشانی، ص ٣٤)

للهند وكيف كان السفر إلى الهند أمل كل شاعر إلا أن الروح تأذيت بما يكفي بسبب معاناة الغربة والبعد عن الوطن، كما أن نهري دجلة والفرات في بغداد والذي تشكلت على جانبيه أعظم حضارات التاريخ كالحضارة الآشورية وغيرها من الحضارات القديمة شهدوا العديد من الأحداث المؤلمة، وامتزجت مياه النهر العظيم بدماء ضحايا حروب ومجازر شهدها العراق الحبيب، وتعرض بغداد لخسارة فادحة للثقافة والحضارة الإسلامية، بعدما احترقت الكثير من المؤلفات القيمة والنفيسة في مختلف المجالات العلمية والفلسفية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، نتيجة إشعال المغول للنار في بيت الحكمة، وهي إحدى أعظم مكتبات العالم القديم آنذاك، وألقوا بالكتب في نهري دجلة والفرات، حتى يقال أن ماء نهر دجلة تحول إلى الأحمر والأزرق بفعل دماء القتلى وحبر الكتب التي أغرقت، بالإضافة إلى أن جنود هولوكو اتلفوا عددًا كبيرًا من الكتب القيمة في مكتبات بغداد، حتى إنهم ملأوا نهر دجلة بالكتب وجعلوها جسورًا لخيولهم، فتحوّلت مياه النهر الأزرق إلى اللون الأسود من اختلاطها بالمداد^١.

ولهذا السبب جعل الشاعر كلیم كاشاني من موج نهر دجلة سيقًا على خد بغداد فعلى الرغم من جمال وعظمة نهر دجلة فإنه حوي العديد من القتلى والمصائب التي عرضت بغداد لخسارة فادحة وغيرت من تاريخ العراق وكذلك الهند على الرغم من شوقه لها وأن الذهاب إليها كان حلمًا تكوّن في مخيلته منذ الصبا فإنه يراها مثل السيف على خديه، السيف الذي أبعده عن الوطن رغبة في الوصول إليها السيف الذي جعله يتحمل ألم ومعاناة الغربة؛ الغربة التي ذكر في حديثه عن الأنبياء من خلال الأبيات أن تحمل صبر أيوب على كل ما تعرض له من بلاء ومحن ومرض أقل بكثير من تحمله لألم الغربة.

^١ () محمد عبد الرحمن: جرائم على نهر دجلة .. رافد العراق الشهير، <https://M.youm.com> بتاريخ

ث- البعد عن الوطن والاعتراب.

إذا انتشرت مجموعة من العوامل على مستوى المجتمع، فإنها ستدفع من لديه القدرة والإمكانية للهجرة حتى بعد البعد عن الوطن واختيار الغربية، استبدلاً للبقاء في الوطن خاصة إذا كان شاعراً وخطيباً ولم يكن له مكانة مناسبة وشخص داعم لشعره^١.

لأن إمكانية البعد عن الوطن والقدرة على ذلك كانت مهياً له ولم يكن يعتبر إيران مكاناً مناسباً للعيش في ذلك الوقت، فهو يتحمل عبء السفر على طريقته الخاصة، وهو ما يدور في أشعاره حول الظروف الصعبة لأوضاع الوطن ومبررات الأسباب والعوامل الناتجة التي أدت إلى تبني قرار تبني الهجرة من إيران تتجلى في العديد من الاشارات والأبيات التي فضل فيها الغربية والبعد عن الانتماءات والعلاقات على البقاء في الوطن^٢.

من بين معتقدات كلیم الإیمان بقدراته الداخلية، مما تسهل عليه التغلب على أي مشكلة، ويقول في هذه المرة؛ لماذا يجب على شخص مثلي أن يبني منزلاً من حجارة الأحداث، أن يكون له منزل في الأنقاض مثل البومة.

- إلى متى نكون طفيل بومة في الأنقاض، فأنا الذي يستطيع بناء منزل من حجارة الأحداث^٣.

(١) رضا برزویی، ناصر الدين شاه حسينی، مظاهر مصفا، بازتاب اوضاع واحوال اجتماعی عصر صفوی در اشعار كلیم همدانی، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٢) رضا برزویی، ناصر الدين شاه حسينی، مظاهر مصفا، بازتاب اوضاع واحوال اجتماعی عصر صفوی در اشعار كلیم همدانی، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٣) تا به کی باشیم طفیل جغد در ویرانه ها من که از سنگ حوادث می توانم خانه ساخت

(دیوان كلیم كاشاني، ص ٣٦٨)

كذلك يصف كلیم عدم جدوى بقاءه في وطنه ما دامت الفرصة مهیأة للسفر وتغيير الحال، حيث لم يعد في إيران من وجهة نظره مكان للبقاء، حيث ضاقت الارزاق، وقلة الموارد، وعدم الاهتمام بالشعراء، ونراه يكرر ذلك، ولعله في البيت التالي يلخص هذه القصة بشكل وافي:

- أرض الغربة في رأيي هي ماء الحياة، ففيها الصبح يشرق من المساء للغرباء.
- لم يتحقق المراد في أرض، أليس عبثاً يا كلیم كل هذا الانشغال بالسفر.
- موطن كلیم ملئ بأشواك وقش، اذهب لمعرفة الوطن من رائحة الغرباء.
- أليس من الذل، اذا لم يعلم أحداً قدر الكلام، ففي سوق الدينا القيمة هي معرفتك بماء.
- هكذا هون على حزن الغربة، أن تكون مثل جوهر مشمئز عن ذكرى الوطن.
- تتمتع بلد الوفاء والحب بطقس سيء للغاية، لدرجة أن مرضك كان من الضروري للبقاء في هذا العقار.
- ترك كلیم راحة وسعادة الوطن لأهل كاشان^١.

إذا اعتبرنا بلد الحب والوفاء كناية عن إيران، بسبب سوء الأحوال الجوية السائدة في البلاد، فإن المرض والألم سيكونان ضروريين للبقاء هناك.

(^١) خاک غربت در مذاقم آب حیوان می شود
 صبح روشن خاطر از شام غریبان می شود
 در خاک وطن تخم مرادی نشود سبـز
 بیهوده کلیم این همه سرگرم سفر نیست
 وطن تمام خس و خار بی گل است کلیم
 برو سواد وطن را از شام غریبان می شود
 (دیوان کلیم کاشانی، ص ٢٤٨)

نه از خواری است گر قدر سخن را کس نمی داند به بازار جهان قیمت که داند آب حیوان را؟ چنان بر
 خویشتن اندوه غربت را گوارا کن که مانند گهر بیزار از یاد وطن باشی کشور مهر و وفا
 بسیار بد آب و هواست تا در این ملکی دلا لازم بود بیماریست
 کلیم آسایش عیش و وطن را برای اهـل کاشان
 میگذارد

(دیوان کلیم کاشانی، ص ١٢٢)

الخاتمة

في نهاية البحث نستعرض النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته تلك، والتي سنحصها فيما يلي:

١. العلاقة المباشرة بين المجتمع والأدب حقيقة لا يمكن إنكارها اليوم، وكلیم من جملة الشعراء الذين عاشوا في بلدين مختلفين وينعكس ذلك في ديوانه.
٢. إن الحياة في العصر الصفوي هي العهد الذي يتزامن مع هيمنة رجال الدين على الرأي العام و دعم الحكومة في ترويج المذهب الشيعي، وذلك من خلال قصائد كلیم كاشاني.
٣. تأثر الشاعر كلیم كاشاني بالقحط الذي أصاب الدكن في الهند، حيث انعكس ذلك في خلق تعبيرات ومضامين جديدة عن القحط.
٤. أثبتت الدراسة أن كلیم أكثر شعراء العصر الصفوي عشقًا وولهاً بالهند وملوكها.

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية والمترجمة:

١. آمال حسين محمود: الشعر الفارسي في العصر الصفوي، الطبعة الأولى، مركز جسور للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٢١م.
٢. خالد أعرج: في تأويل خطاب النقد الأدبي الاجتماعي (دراسة في نقد النقد)، ط١، عبد المنعم ناشرون، حلب، ١٩٩٩م.
٣. سمير حجازي: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعية، لبنان، ص١١٥.
٤. ١٤. محمد علي البدوي: علم اجتماع الأدب "النظرية والمنهج والموضوع"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١م.
٥. محمد سعيد فرج، محمد خلف عبد الجواد، علم اجتماع الأدب، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م.
٦. محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م.
٧. محمد ولد بو عليبة: النقد الغربي والنقد العربي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٨. محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.
٩. نبيل محمد توفيق السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة - العربية السعودية، ١٩٨١م.

ثانيا: المصادر المراجع الفارسية والمترجمة: .

۱. ابو طالب كلیم كاشانی: پرتو بیضائی، چاپ دوم، كتابفروشی خیام، تهران، ۱۳۶۹ ه.ش.
۲. راجر سیوری: ایران عصر صفوی، ترجمه ی کامبیز عزیز، چاپ شانزدهم، تهران، ۱۳۸۵ ه.ش.
۳. مهدی صدری، کلیات طالب كلیم كاشانی "بر اساس نسخه كلیم"، چاپ اول، جلد اول، المكتبة الأدبية المختصة، ۱۳۷۶ ه.ش.

الدوريات العلمية الفارسية:

۱. اسماعیل حاکمی والا: "جست و جوی نهادهای اجتماعی" در شعر كلیم كاشانی، پرنوش پژوهش، پرتال جامع علوم انسانی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات حبیبه زاهدی کیا، علی دهقان، بررسی مضمون آفرینی در غزلیات كلیم كاشانی، فصلنامه علمی پژوهشی زبان و ادب فارسی، شماره ۱۳، ۱۳۹۱ ه.ش.
۲. ذبیح الله صفا، تلخیص سید محمد ترابی، تاریخ ادبیات ایران، چاپ هفتم، خلاصه جلد پنجم (بخش اول - دوم - سوم)، جلد چهارم، شماره ۷، تهران، ۱۳۸۹ ه.ش.
۳. رضا برزویی، ناصر الدین شاه حسینی، مظاهر صفا، بازتاب اوضاع و احوال اجتماعی عصر صفوی در اشعار كلیم همدانی، فصلنامه علمی پژوهشی زبان و ادب فارسی، شماره ۶، ۱۳۹۰ ه.ش.

_مواقع الانترنت:

[https:// www. hespress. Com.](https://www.hespress.Com)

<https://M.youm.com>

Social conditions and their reflection on the poetry of "Clem Kashani's"

Abstract

Sociology in literature is a science that focuses its studies on the content of each literary work, its social essence, and the interrelationships between literature and society, and presents the role of society in the formation of artistic and literary works.

Hence, the research aims to shed light on the extent of the influence of the sociology of literature on Persian poetry and the poetry of clem kashani's. in addition to identifying the life and production of clem kashani's, waishtamalat hadhih aldirasat eali muqadimatan wamabhathin rayiysayn ja' almabhath al'awal bieunwan clem kashani's (biyatihu, makanatahu, 'iintajihi), thuma ja' almabhath althaani bieunwan features of social life in Iran and India in the poetry of clem kasgani's , thuma alkhatimat wa'ahamu natayij albahth waqayimat almasadir walmarajiei.

The study will follow the descriptive analytical approach that describes and analyzes phenomena. The descriptive approach will study the literary and linguistic phenomena contained in it. It is necessary for this that the descriptive approach is the way of thinking to collect data and information and identify facts. As for the analytical method, it analyzes the text and decomposes it into parts to deepen its reading and interpretation. Therefore, we find that the analytical method is a mental process in its essence, and it consists in isolating the elements of something from each other so that it can be clearly understood.